

اللغة العربية المعاصرة بين النشأة والتعليم

فاطمه شريف زاده يزدي*

محمد جنتي فر**

الملخص

إن اللغة رموز ملفوظة وإشارات متفق على دلالتها تستعمل للتعبير عن المعاني وهي أوسع من الكلام لأن الكلام يقتصر على الرموز الملفوظة أي الكلمات أو الألفاظ، وهي مؤلفة من مقاطع صوتية أو على الأقل من مقطع صوتي واحد كما في (ل) من (ولى) و(ر) من (رأى)؛ فهما فعلا أمر واللغات أحادية الهجاء وفيه تدرج اللغة الصينية ولهجاتها وطائفة من اللغات حامية وسامية، ومنها المصرية القديمة والقبطية واللغة العربية من اللغات السامية والمنسوبة إلى سام بن نوح. و أشهر هذه اللغات العربية والسامية والعبرانية. أما الفارسية ليست من اللغات السامية وهي من اللغات الأرية نسبة إلى آريا وهو لفظ يراد به جميع مملكة الفرس مثل لفظ إيران. **الكلمات الدلالية:** القراءة، النحو، كيفية التعليم، البلاغة، اللغة العربية، العبرانية، الفارسية، اللغات السامية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* طالبة الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها، جامعة آزاد الإسلامية، فرع قم، قم، إيران.

Dehshiri.nima121@gmail.com

** عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية، فرع قم، قم، إيران (أستاذ مشارك).

الكاتبة المسؤولة: فاطمه شريف زاده يزدي

خلفية البحث

لقد كُتبت كتب كثيرة حول اللغة العربية ومنشؤها وفي مقالات متعددة من الأدب واللغة والكتابة والقراءة والبلاغة، لكن هذا المقال يسعى عن بحث شكل اللغة العربية وكتابتها وقراءتها بصورة حديثة لطلاب المدارس وطلاب الجامعات في البلدان العربية والايرانية حول البحث. إن اللغة العربية عندما جُمعت ودوّنت لم يُعوّل إلّا على ألفاظ القرآن الكريم وألفاظ الشعر الصحيح الذي كان يُقرأ في العصر الجاهلي كأشعار *إمرئ القيس والنابغة* و*عنتره* كما في معلقته:

قفا نبكٍ من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وإن شفائي عبّرة مهراقفة فهل عند رسمٍ دارسٍ من معولٍ
(امرؤ القيس، ١٩٦٦: الديوان)

ومن قول *النابغة*:

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى حلفت فلم أترك بنفسك ريبةً
وتلك التى أهتم منها وأنصبُ وليس وراء الله للمرء مذهبُ
(النابغة، ٢٠٠٠: الديوان)

ومن القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان﴾ والعربية التى نزل بها القرآن الكريم هى القرشية المضرية وكانت للعرب قبل الإسلام لهجات شتى فى أنحاء بلادهم كالحميرية والشمودية والنبطية، وقد دثرت كلها فى الحجاز وعندما دوّنت هذه اللغة لم يعوّل إلّا على القرآن والشعر كما قلنا، وكلام أعرق القبائل العربية والحكمة بالغة ولقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم بلغة العرب ولم ينزله أعجمياً كما يقول الله تعالى: ﴿ولو جعلته قرآناً أعجمياً لقالوا لولا أنزلنا القرآن على العرب لم ينزله أعجمياً كما وشفاء﴾ (فصلت / ٤٤).

و أيضاً: ﴿لسان الذى يُلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين﴾ (النحل / ١٠٣)

نشأة اللغة العربية

إن من المرجح أن نقول أن العربية الأولى تكوّنت مثل غيرها من اللغات، ومن أصول قليلة ثنائية البناء أى مركبة من حرفين، ثم تعدّدت الكلم بإضافة حرف أو أكثر على

الأصل الثنائي ويقلب واحد من حروف الكلمات المزيدة من ثلاثية أو رباعية وبإبدال بعض أحرف الكلم من بعض، وبنحت كلمة من كلمتين أو من جملة وباقتباس كلمات أجنبية (مصطفى الشهابي، مجلة مجمع اللغة العربية، ١٩٥٦م: ١٠).

وهكذا نشأت لغتنا الضادية على مرّ السنين وكثرت ألفاظها وتنوعت معانيها، ثم سارت على سُنّة الإرتقاء وبقاء الأصلح، فماتت لهجاتها وعاشت اللغة المضرية لغة القرآن الكريم وهي اللغة القادرة على الحياة والتجدد والعبارة عما استحدثه الناس و يستحدثونه في شؤون حضارتهم، وهي باقية ما بقي كتاب الله يُتلى وما بقت الأذان ترفع (المصطلح العلمي في اللغة العربية، ٢٠١٠م: ٢٨).

وقال بعض العلماء: إن اللغات السامية خاصة تتميز بها من سائر اللغات المعروفة منها:

١. يتميز فيها المذكر والمؤنث في الضمائر والأفعال

٢. تتصل الضمائر بالأفعال والأسماء والحروف

٣. لا يوجد في اللغة العربية شين بعد لام لأنها تأتي قبل اللام (نفس المصدر: ٢٩)

وقال الجاحظ في «البيان والتبيين»: «إن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف والطاء ولا العين بتقديم ولا تأخير والزاي لا تقارن الظاء» (نفس المصدر: ٣٠ و طاهر بن العلامة الجزائري، ١٣٣٧ق: ٦٢).

الكتابة العربية

قال ابن عباس: «أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان، وهي قبيلة سكنوا الأنبار واجتمعوا ووضحوا حروفاً مقطعة وموصولة؛ وهم مرامر بن مرة وأسلم بن سدره وعامر بن جدرة وأما مرامر فوضع الصور وأما أسلم ففصل ورحل، وأما عامر فوضع الأعجام وسئل أهل الحيرة: فمن أخذتم الكلام العربي؟ فقالوا: من أهل الأنبار»، «وقال: إن الله تعالى أنطق إسماعيل بالعبيبة المبينة وهو ابن أربع وعشرين سنة» (المصطلح العلمي، ٢٠١٠م: ٣٢).

وإن نقرأ من أهل الأنبار من القبائل القديمة وضحوا حروف (الف - ب - ت - ث - الخ ...) وعنه أخذت العرب والذي حمل الكتابة إلى قريش بمكة أبو قريش، وهو أبو قيس ابن عبد مناف بن زهرة وقد قيل حرب بن أمية (نفس المصدر: ٥٤). وقال محمد بن اسحاق: «أول

من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحسن الخط هو خالد بن أبي الهيثاج ولقد رأيت مصحفاً بخطه» (ابن النديم، ١٣٨٤ ق: ٤). وقد ذكر الأستاذ لافيس *lavisse* في مقالة له عن الكتابة وهو ممن يعتقد بأسبعية الكتابة المصرية للكتابة عن وادي الرافدين أن المصريين القدماء اخترعوا لكل كلمة رسماً أو شكلاً معيناً. فتعددت الأشكال والرسوم بتعدد الكلمات وصار تعلم الكتابة عسيراً، ثم جعلوا لكل مقطع صوتي علامةً صارت بعد ذلك حرفاً خاصاً به ونظمت الكلمات من عددٍ محدود من الحروف فتغلب بذلك على الصعوبة الناتجة من تعدد الأشكال الدالة على الكلمات.

والظاهر أن الأستاذ فريمن بتر *Butts* يرى بأن الكتابة في العراق القديم والكتابة في مصر القديمة نشأتا متعاصرتين، ويغزو لهما فضلاً كبيراً على الحضارة الإنسانية إذ يقول في ذلك: «قد أصبح التعليم الإجتماعي أكثر أهمية عندما بدأ الإنسان يستقر في وادي دجلة والفرات في العراق ووادي النيل في مصر، ففي هذين المركزين إزدهرت الحضارة الإنسانية من وجوه عديدة وصارت معقدة إلى درجة كبيرة عندما أتقن الإنسان استعمال البرنز والحديد واخترع وسيلة لتدوين اللغة وهي الكتابة».

أصل اللغة العربية وقيمتها

اللغة العربية من اللغات القديمة وأنها تفرعت من لغة الساميتين الأصلية. فهي شقيقة اللغات السريانية كما قلنا قبل و ذكر الأستاذ البحات اللغوي ماريو باي في كتابه «قصة اللغة» (ماريو باي، ١٩٦٠: ٢٤٤):

اللغة الصينية: مليار ونصف نسمة

اللغة الإنجليزية: مليار نسمة

اللغة العربية: مليار نسمة

اللغة الألمانية: ٣٠٠ مليون نسمة

اللغة الفرنسية: ٥٠٠ مليون نسمة

ولا شك أن الإسلام قد ساعد كثيراً في توسيع اللغة العربية وتهذيبها، وقد بذل كثير من علماء البصرة والكوفة جهداً في جمع اللغة من القبائل المتنوعة وصرّفها وموازن الشعر فيها ومزايا قيمة كتبت فيها البقاء والحيوية والإنتشار في أقطار العالم، وقد منحت

الجامعات الأجنبية مثل جامعات طهران وأزاد الإسلامية ولندن وباريس وشهادات عليا في دراسة هذه اللغة وآدابها، وتطور الأدب العربي بإهتمامها وقد كتبوا ما لها من قدرة وجوده واتساع الإشتقاق ودقة التعبير عن المعانى وهى تتمتع الآن بمقدار وافٍ من المعاجم الثمينة وكتب النحو والصرف والعروض، بالإضافة إلى تراث قيم. *والأب أنستاس مارى الكرملى* قد عبّر عن قدم العربية وأمومتها للغات العالم فى محاضرة نشرها فى كتابه المعروف «نشوء اللغة العربية واكتمالها» وقال: «لقد لاحظتُ هذا المبدأ وهو كل كلمة ذات هجاء أو هجائين فى اللاتينية ولم تكن من أصل منحوت بل من وضع أصيل فلا بدّ من أن يكون لها مقابل لغتنا المضرية» (مارى الكرملى، ١٩٣٨م: ٩٧).

ولقد حافظ العرب على لغتهم وصانوها من أعدائها وقد ألفوا كما قلنا معاجم كثيرة وكتب فى إصلاح الأخطاء اللغوية، ويقال أول من ألف فى ذلك *على بن حمزة الكسائى* المتوفى سنة ١٩٢ق وهو من نحاة مدرسة الكوفة، وكتب *ابن سكتيت* وهو من الكوفة كتاباً سمّاه «اصلاح المنطق» وكتب *أبو حامد السجستانى* كتاباً بهذا الصدد وكتب *ابن قتيبة* كتابه المعروف «أدب الكاتب» وغيرهم بتأليف الكتب الأخرى.

تعليم الألفباء فى اللغة العربية

هناك لتعليم الألفباء طريقتان: إحداهما الطريقة التركيبية والأخرى الطريقة الكلية؛ فالتركيبية تشمل طريقة الابتداء بالحرف وهى طريقة تعليم حروف الألفباء بأسمائها. فعند تعلّم الحروف بأسمائها يقال ألف، باء، إلى آخر الحروف ثم تعلّم الحروف محرّكة بالحركات الثلاث.

والطريقة الثانية فهى الطريقة الكلية وهى تستند إلى نظرية التعلّم بالكلّ التى قال بها النفسانيون؛ أما سابقتها التعلّم بالجزء وهذه الطريقة على نوعين وهما طريقة الإبتداء بتعليم الكلمة والإبتداء بتعليم الجملة، وتسمى الطريقة الجُمليّة فهى طريقة التعلّم بالكلمة وقد يتعلّم الطفل صوت حرف واحد من الحروف. ثم يقرنه ويربطه بحرف آخر فى الكلمة نفسها ففى كلمة «عصفور» قد يظنّ الطفل أنّ الصاد هى الفاء فيربط صوت الصاد بها ويكتبها إذا طلب منه كتابة الصاد وفى هذا ضرر بالغ فى التعلّم.

الإنشاء فى اللغة العربية

فالإنشاء نوعان: تحريرى وشفهى؛ وكلاهما جدير بالناية والرعاية وله قيمة تربوية. فإنه من أشق الموضوعات على التعليم لأنه عمل فنى يعتمد على عناصر عديدة تؤلفه كما يقول فاليرى: «كل عمل فنى يجب أن يحسب الفنان ولا بد أن توجد متضمنه فى العمل الفنى» (فاليرى، الخلق الفنى: ٢١).

فإلى جانب المقدرة اللغوية يحتاج المنشئ إلى اختيار الكلمة الملائمة فى معناها وموسيقاها، كما يحتاج إلى تأليف المعانى وترتيبها بصورة مترابطة يعزز بعضها ويمهد سابقها للاحقها، ليجد القارئ أو السامع من الإستدلال والحجج والروعة ما يكفى لإستمالته واقناعه. ولهذا فمن عيوب الإنشاء أن تكون أجزاءه مفككة وفقراته متنافرة. فينتج عن ذلك انخزال المعانى وتنافرها وفى هذا المعنى قال كاتب عربى قديم هو/ابراهيم بن المدبر(المتوفى سنة ٢٧٩ق) فى رسالة «العدراء»: «إنى سمعت جعفر بن محمد الكاتب يقول: لا ينبغى للكاتب أن يكون كاتباً حتى لا يستطيع أن يؤخر أول كتابه ولا يقدم آخره» (التنوخى، مجلة المعلم العربى، عدد ١: ١٩٤٩م: ٤٥).

ويرى الدكتور عبدالعزیز الفوصى أن أسس الإنشاء النفسية ثلاثة:

١. التأثير والإفعال؛ فالإنسان يتأثر ببعض ما يجرى حوله أكثر مما يتأثر ببعضه الآخر وهذا الذى ينفذ إلى نفسه ويحكمها ويجعلها تنفعل.
٢. القدرة على التعبير: إن مجرد التأثير والإفعال لا يكفى للنجاح فى التعبير فقد يتأثر الإنسان وينفعل ولكنه لا يستطيع أن يعبر عنه فلا بد من وجود تروية لغوية واسعة المدى دقيقة التمييز تمكّن من تقديم الأفكار تقديماً وافياً
٣. وجود الغرض: فقد يتأثر الإنسان وينفعل ويملك ثروة لغوية واسعة المدى ولكنه لا يكتب ولا يتحدث لأنه لا غاية له من الكتابة أو الحديث (يوسف الشيخ، ١٩٥٢م: ٣٢).

القواعد فى اللغة وتدريسها

النحو من الموضوعات العقلية أى إن اتقانه والمهارة فيه يحتاجان إلى إدراك عقلى لعلّه متفاوتة، ثم تدريب اللسان على تطبيق قواعده حتى يسهل تمييزها والإفادة منها ومن المعلوم أن التمرين من غير ادراك للأسباب النحوية غير صحيح.

التمرين

ولابدّ لدارس النحو من أن ينال قدرًا كافيًا من التطبيق على كلّ قاعدة درسها، ويستحسن أن يكون التطبيق بعد دراسة القاعدة مباشرة أي قبل أن يمرّ على دراستها وقت طويل يمحو بعض معالمها من الذهن، ويلزم أن تكون الجمل المستعملة في التمرين شائعة في معانيها جديدة في صوغها وملائمة لمستوى الطّلاب العقلي والاجتماعي وتمسّس حياتهم؛ ومما هو شائع في محيطهم قدر الامكان وقد ورد في كتاب «التعليم العام في الإتحاد السوفياتي» تأليف ميدتسكى أنّ الوقت لتدريس اللغة الروسية والمطالعة في السبع السنوات الأولى من الدراسة في الإتحاد السوفياتي يبلغ حوالي ٢٥٠٨ درس وهكذا في اللغة العربية، والزمن الذي يستلزم لبحثها وتعليمها على أسس خاصة ويذكر كبار الكتاب والأدباء(المصدر السابق: نفس الصفحة).

فليس من المتوقع اتقان المهارات اللغوية لمدة يسيرة وجهد خفيف وتعلّم اللغة شأن تعلّم العلوم الأخرى يعتمد على الموهبة الخاصة ومقدار الجهد المبذول والرغبة في التعلم. ويقول الأستاذ وليم ترو أنّ أفة النحو آتية من جمود النحاة على قوالب من القواعد لا يرغبون في تبديلها ويطلبون من الطلاب حفظها وتطبيقها(Trow, 1950: 542).

نتيجة البحث

إنّ اللغة العربية هي من اللغات السهلة للتعليم ولا يشوبها شيء، ولكن يجب على أساتذة اللغة والمعلمين ذوى الفن أن يجتهدوا في انتقالها إلى طلاب الجامعات والثانويات ويلبسونهم ثوب التعليم في سنين الشباب من النحو والتربية والتعليم والقراءة والكتابة والخط. وأن يتذكروا لهم أنّ الكتابة في اللغة العربية ليست حديثة بل هي قديمة في حدوثها والطلاب مستعدون على اتقانها وهي لغة جيدة تحب على تكميلها الفرس والعرب في القرون الماضية والحال و تدرس في أكثر جوامع العالم منها جوامع ايران والبلدان العربية.

المصادر والمراجع

- اسماعيل، عزالدين. ١٩٦١م، التفسير النفسى للأدب، ترجمة وتقديم مصطفى بدوى، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد.
- إمرؤالقيس. ٢٠٠٥م، الديوان، بيروت: دار صادر.
- ترزى، فؤاد حتّا. ١٩٦٢م، الوسائل السمعية والبصرية المساعدة فى تعليم اللغة العربية، بيروت: لا نا.
- تيمور، محمود. ١٩٥٦م، مشكلات اللغة العربية، القاهرة: لا نا.
- الجومرد، محمود. لا تا، الطرق العلمية لتدريس اللغة العربية، لا مك: مطبعة الهدف.
- الحصرى، ساطع. ١٩٥٣م، أصول التدريس، بيروت: لا نا.
- الدينورى، ابن قتيبة. ٢٠٠٢م، أدب الكاتب، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الراوى، طه. ١٩٤٩م، تاريخ علوم اللغة العربية، بغداد: مطبعة الرشيد.
- شريف، بديع. ١٩٤٦م، اصول تدريس اللغة العربية، بغداد: لا نا.
- عبدالقادر، حامد. ١٩٥٧م، المنهج الحديث فى أصول التربية وطرق التدريس الخاصة بفروع اللغة العربية والدين، القاهرة: مكتبة نهضة مصر.
- فاليرى، بول. ١٨٩٦م، الخلق الفنى، ترجمة بديع الكلم، بيروت: لا نا.
- الكرملى، مارى. ١٩٣٨م، نشوء اللغة العربية، لبنان: لا نا.
- مجلة المعلم العربى. ١٩٤٩م، «تدريس الإنشاء»، عدد ١، ص ٤٥.
- ميدتسكى. ١٩٥٨م، التعليم العام فى الإتحاد السوفياتى، ترجمة ممدوح اباطة، القاهرة: لا نا.
- النابعة الذبىانى. ٢٠٠٠م، الديوان، غريد الشيخ، بيروت: مؤسسة الأعلمى للمطبوعات.
- ناصر، على الجندى. ١٩٥٧م، من قضايا اللغة والنحو، القاهرة: مكتبة نهضة مصر.
- وحيد دويدى، رجا. ٢٠١٠م، المصطلح العلمى فى اللغة العربية، دمشق: دار الفكر.
- اليسوعى، رفائيل نخلة. ١٩٥٤م، غرائب اللغة العربية، حلب: لا نا.

الكتب اللاتينية

- William Trow.1950, **Educational Pesychology**, New yourk.
R.Freeman Buttssa, 1955, **Cultural Itis Story Of Westernen**.